سلسلة تفريغات شبكة بينونة

بناء أسرة سليمة

الشيخ يوسف بن حسن الحمادي

قام به فريق التفريغ في شبكة بينونة للعلوم الشرعية

@BaynootnanetUAE @Baynoonanet www.baynoona.net

بسم الله الرحمن الرحيم

يسر شبكة بينونة للعلوم الشرعية أن تقدم لكم تفريغًا لمحاضرة

بعنوان

{ بناء أسرة سليمة }

للشيخ

يوسف بن حسن الحمادي

-حفظه الله تعالى -

نسأل الله سبحانه وتعالى أن ينفع به الجميع

حقوق الطبع محفوظة لشبكة بينونة للعلوم الشرعية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا، أما بعد.

كيف نبني أسرةً سليمة؟ هذا الموضوع من الأهمية بمكان، وتأتي جهة الاهتمام بهذا الموضوع من حيث الحاجة إليه وضرورة الوعي فيه، فالزواج نعمةٌ من نعم الله تبارك وتعالى، نعمةٌ عظيمة، كيف لا تكون كذلك وبالزواج يقيم المرء دينه في نفسه وفي أهله وولده، وبالزواج يتحقق العفاف، وتُحفظ الجوارح من الآثام، وبالزواج يكثر سواد أمة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وبه يستكمل المرء نصف دينه، وبه تقوى الصلات وتتواجد الروابط الأسرية والعائلية.

ويكفي من فوائد وثمرات الزواج أن به يستمر العمل الصالح بعد الموت، فهو من أبواب ومنافذ استمرار الخير للإنسان بعد موته إن رُزق المرء المتزوج ذريةً طيبةً تدعو له، فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إِنَّ الرَّجُلَ لَتُرْفَعُ دَرَجَتُهُ فِي الْجَنَّةِ فَيَقُولُ: أَنَّى هَذَا؟» أي:

عملي لن يوصلني إلى هذه المرتبة، فمن أين لي هذه الدرجة؟ « فَيُقَالُ: بِاسْتِغْفَارِ وَلَدِكَ لَكَ »[١].

لذلك عَظُمت المحاسبة على هذه النعمة يوم القيامة، فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « فَيَلْقَى الْعَبْدَ » أي الله عز وجل، « فَيَقُولُ: أَيْ فُلْ » يعني يا فلان، تأمل الآن المحاسبة على النعم، «فَيَقُولُ: أَيْ فُلْ أَلَمْ أُكْرِمْكَ، وَأُسَوِّدْكَ» أي: أجعلك سيدًا « وَأُزَوِّجْكَ » وهذا وجه الشاهد، إذًا الزواج محل محاسبة يوم القيامة، ثم قال سبحانه: « وَأُسَخِّرْ لَكَ الْخَيْلَ وَالْإِبِلَ، وَأَذَرْكَ تَرْأَسُ وَتَرْبَعُ؟ فَيَقُولُ: بَلَى، قَالَ: فَيَقُولُ: أَفَظَنَنْتَ أَنَّكَ مُلَاقِيَّ؟ فَيَقُولُ: لَا، فَيَقُولُ: فَإِنِّي أَنْسَاكَ كَمَا نَسِيتَنِي »[٢] ونسيانُ الله عبده هو إهماله له، نسأل الله العافية.

السلامة مطلبٌ عزيزٌ على كل نفسٍ شريفة، ولذلك يسعى إليه كل فردٍ من أفراد الأسرة، ابتداءً من الزوجين، ذلك أن سلامة الأسرة وبناءها على أسسٍ صحيحةٍ ثابتةٍ راسخةٍ يعني ماذا؟ يعني سعادتها واستقرارها، وشيوع الأمن فيها، سلامة الأسرة تعني قيام أمرها وتواصل أفرادها وتقرب قلوبهم، سلامة

---

(١) أخرجه ابن ماجه

(٢) أخرجه مسلم

الأسرة تعني صفاء أجوائها وخلوّها من الخلافات، وبُعْدِها عن النزاعات، إلا ما لا بد منه، مما لا تخلو منه أسرةٌ في الغالب.

"بناء أسرةٌ سليمة" هذا العنوان إذا تأملناه يعني ماذا؟ يعني أن هناك أسسًا بُنيت عليها الأسرة، ومن هذه الأسس وصلت إلى السلامة، فما هي تلك الأسس التي تضمن السلامة والطمأنينة للأسرة؟ وما هو مصدرها؟

إن منبع البناء السليم للأسرة، وسبيل الدراية به والهداية إليه هو كتاب الله عز وجل وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، هذا هو المصدر، لو ذهب الإنسان وقرأ ونظر واستفسر لن يجد سبيلًا إلى السلامة إلا من هذين الطريقين.

قال جل وعلا: ﴿إِنَّ هَـذَا الْقُرْآنَ يِهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾[الإسراء:٩] أي: من اهتدى بما يدعو إليه القرآن كان أكملَ الناس وأقومهم وأهداهم في كافة أموره، قال صلى الله عليه وسلم: «تَرَكْتُ فِيكُمْ أَمْرَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُمَا كِتَابَ اللهِ وسُنَّتِي»[(١)]، إذًا بناء الأسرة وسلامتها لا بد أن يكون على ضوء كتاب الله وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام.

وعلى ذلك فإن كل قاعدةٍ أو أساسٍ سأذكره إن شاء الله سيكون مقرونًا ومصحوبًا بدليله من الكتاب أو السنة، هذه الأسس كما قلت عبارة عن معالم

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك.

عامة، ليس لها ترتيبًا معينًا.

الأساس الأول الذي تُبنى عليه الأسرة: فاظفر بذات الدين تربت يداك، واظفري بذي الدين تربت يداكِ، هذه وصية نبينا عليه الصلاة والسلام، فهذا أصل بناء الأسرة وسلامتها وسعادتها في الدنيا والآخرة، قال صلى الله عليه وسلم: «أَرْبَعٌ مِنَ السَّعَادَةِ: الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ، وَالْمَسْكَنُ الْوَاسِعُ، وَالْجَارُ الصَّالِحُ، وَالْمَرْكَبُ الْهَنِيءُ» (١).

بصلاح الزوجين ماذا يحصل؟ ينشأ كل خيرٍ فيها، تنبع الفضائل، تصل الحقوق، يطيب العيش، تقرّ العين، يطمئن القلب، كل هذه الفضائل، ولهذا روى الإمام ابن ماجه في سننه من حديث ثوبان رضي الله عنه قال: "لما نزل في الفضة والذهب ما نزل قالوا" أي الصحابة "فأي المال نتخذ؟ قال عمر" لما تساءل الصحابة رضي الله عنهم في شأن الآيات التي نزلت في الذهب والفضة، قالوا: فأي المال نتخذ؟ "قال عمر: فأنا أعلم ذلك لكم" فكان على بعيره فشدّ على بعيره فأدرك النبي صلى الله عليه وسلم وكان ثوبان خلفه على أثره، "فقال: يا رسول الله أي المال نتخذ؟ قال صلى الله عليه وسلم" وتأملوا الوصية النبوية النافعة: «لِيَتَّخِذْ أَحَدُكُمْ قَلْبًا شَاكِرًا، وَلِسَانًا ذَاكِرًا، وَزَوْجَةً مُؤْمِنَةً، تُعِينُ أَحَدَكُمْ

---

(١) أخرجه ابن حبّان

عَلَى أَمْرِ الْآخِرَةِ»[١].

هذه المرأة هي الكنز الدنيوي الحقيقي، قال عز وجل في وصف هذه المرأة: ﴿فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ﴾[النساء:٣٤] تأملوا الآية، ﴿فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ﴾

الصفة الأولى: قانتات أي: مداومات على الطاعة مواظبات على العبادة، وهذا يتعلق بحق من؟ بحق الله.

﴿حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ﴾ أي محافظات على أي شيء؟ محافظات على أنفسهن في غيبة أزواجهن وعلى ما ائتُمِنّ عليه من أموال الزوج وغير ذلك، وهذا يتعلق بحق من؟ بحق الزوج.

هذه المرأة هي المتاع الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «الدُّنْيَا مَتَاعٌ، وَخَيْرُ مَتَاعِ الدُّنْيَا الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ»[٢]، هذا في جانب اختيار الرجل للمرأة.

أما في جانب اختيار المرأة: فقد قال صلى الله عليه وسلم: «إِذَا خَطَبَ إِلَيْكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فَزَوِّجُوهُ، إِلاَّ تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ، وَفَسَادٌ

---

(١) أخرجه ابن ماجه

(٢) أخرجه مسلم

عَرِيضٌ»[١] تأملوا: «إِذَا خَطَبَ إِلَيْكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ» ميزان الشرف: الديانة والخلق، ترضون دينه: أي ديانته، خلقه: يعني معاشرته وأخلاقه، «مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ» هذا هو المرضي، كما أن تلك الصفات هي المطلوبة في حق المرأة وهي التي تجعلها أن تكون مرضية، جاء رجل إلى الحسن البصري رحمه الله فقال: "**إن لي بنية**" بنت، "**وإنها تُخطب، فمن أزوّجها؟**" فقال رحمه الله: "**زوّجها ممن يتقي الله، فإن أحبها أكرمها، وإن أبغضها لم يظلمها**".

الأساس الثاني: طلب العلم فريضةً على كل مسلم.

أقول: افقه أيها الزوجان الحياة الزوجية، لماذا؟

لأن فقه الحياة الزوجية وتعلم طبيعة الأجواء الأسرية يضمن للزوجين السلامة من الآفات ومن الشرور، والخلاص من الخلافات والخصومات، فالعلم الشرعي والثقافة الشرعية تهيئ الناس وتجعلها مستعدة للدخول في هذه الحياة الجديدة.

فاعرف أيها الزوج ما الذي لك وما الذي عليك، ما الذي يحل لك من أهلك وما الذي يحرم، ما هي الوظيفة الزوجية لكلٍ منكما، ما هي الواجبات

---

(١) أخرجه الترمذي.

الشرعية التي لزمتك أيها الزوج بهذا العقد الغليظ ﴿وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا﴾[النساء:١٥٤] هكذا يقول الله عز وجل، ما هي الواجبات الشرعية التي أُلقيت على عاتقك أو على عاتقكِ أيتها المرأة بهذا العقد، إذا وُجِدتْ مشكلة بينك وبين زوجتك، أو وُجدت مشكلة بينكِ وبين زوجكِ كيف حلّها؟ ما هي مراحل العلاج؟ ما المقصود بالمراحل التي ذكرها الله عز وجل في كتابه من الموعظة، ومن الهجر، ومن الضرب.

اعرف أيها الزوج المباح لك والممنوع عليك في خطبتك، في عقدك، في ليلة زفافك، تعلم طبيعة المرأة والعوارض التي تمر بها في فترة عذرها الشرعي، والتي بسببها قد يسوء خلقها، قد يتغير تعاملها، العلم بهذا وغيره يجعل الإنسان على استعداد تام للدخول في حياته الزوجية.

فإذا اتخذتَ الثقافة الشرعية أيها الزوج وتمكنتَ منها، فبإمكانك بعد ذلك أن تأتي بالقواعد والأسس الأخرى.

الأساس الثالث: « كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْؤولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ »[١] فالمسؤولية فيها نوع سيادة، لكن فيها أيضًا جانب من التكليف كبير، إذًا المسؤولية عظيمة،

(١) متفق عليه

هذه المسؤولية هي جزءٌ من الأمانة التي حمّلها الله عز وجل الإنسان، قال صلى الله عليه وسلم: « إِنَّ اللَّهَ سَائِلٌ كُلَّ رَاعٍ عَمَّا اسْتَرْعَاهُ » ما هو السؤال؟ « أَحَفِظَ ذَلِكَ أَمْ ضَيَّعَ؟ حَتَّى يُسْأَلَ الرَّجُلُ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ » يعني عن كل شيء يُسأل حتى يُسأل عن أهل بيته.

في الحديث الآخر عمّم صلى الله عليه وسلم الخطاب وخصّ، ماذا قال؟ قال: « كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْؤولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، الإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْؤولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَهُوَ مَسْؤولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْؤولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا » إذًا حدد النبي صلى الله عليه وسلم المسؤولية لكلٍ من الزوجين، حدّد وبيّن الدور الذي يجب أن يقوم به كلٌ منهما، أخبر أن كلًا منهما مسؤولٌ عن حفظه لرعيته، عن إصلاحه لها، عن قيامه بشئونها، عن نصحه لها.

فإن قام بحق هذه المسؤولية فَلْيبشر، وإن كانت الأخرى فعليه أن يحذر من وعيد النبي صلى الله عليه وسلم في قوله: « مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ اللهُ رَعِيَّةً، يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ، إِلَّا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ »[1] وصور الغش للرعية كثيرة جدًا.

---

(١) أخرجه مسلم

الأساس الرابع: احفظ الله يحفظك، أحسنا أيها الزوجان صلتكما بالله؛ يوفّق الله بينكم، ويؤلّف بين قلبيكما، على قدر صلتك بالله أيها الزوج وقيامك بحقه وحفظك لحدوده تقوى صلتك بزوجتك، تقوم الزوجة بخدمتك، تعتني بأمورك، هكذا الزوجة أيضًا، قال صلى الله عليه وسلم: « اتَّقِ اللهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ »[1].

ابن القيم رحمه الله له تعليق جميل على هذا الحديث، يقول: جمع النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث بين تقوى الله وحسن الخلق،

قال رحمه الله: **"لأن تقوى الله يصلح ما بين العبد وبين ربه، وحسن الخلق يصلح ما بينه** –أي بين العبد– **وبين الخلق، فتقوى الله توجب له محبة الله، وحسن الخلق يدعو إلى محبة هذا الشخص"**.

لو وُجدتْ بوادر للخلاف فاعلم أنه بأحد أمرين: إما تقصيرٌ في واجب، أو فعلٌ لمحرم، ليس هناك أمرًا ثالثًا:

إما تقصير في واجب: حق من حقوق الله أو حقوق الخلق، أو فعلٍ لمحرمٍ.

لماذا نقول هذا ؟ لأن للمعاصي أثرًا بالغًا في فساد العلاقات بين الرجل وبين زوجه وولده، يقول بعض السلف: **"إني لأعصي الله فأرى ذلك في خلق**

---

(١) أخرجه الترمذي

دابّتي وامرأتي".

مصداق هذا في كتاب الله، قال ربنا تبارك وتعالى: ﴿مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ﴾ أي من خير ﴿فَمِنَ اللهِّ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾[النساء:٧٩] قال جل وعلا: ﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَـذَا﴾ يعني من أين جاءت هذه المشكلة؟ وهذا سؤال يطرحه كثير من النساء وكثير من الرجال، من أين أتت هذه المشكلة؟ ماذا فعلت؟ هكذا الأسئلة، لكن قال الله عز وجل جوابًا لما قال: ﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنْفُسِكُمْ﴾[آل عمران:١٦٥] راجعوا أنفسكم يا جماعة، انتبه لنفسك، هكذا يقول: ﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنْفُسِكُمْ﴾[آل عمران:١٦٥].

يقول صلى الله عليه وسلم وبيّن أثر المعاصي في فساد العلاقات، قال: « مَا تَوَادَّ اثْنَانِ فِي اللهِّ جَلَّ وَعَزَّ، فَيُفَرِّقُ بَيْنَهُمَا » توادّا ثم حصلت الفرقة، ما السبب؟ قال عليه الصلاة والسلام: « إِلَّا بِذَنْبٍ يُحْدِثُهُ أَحَدُهُمَا »[١] وهكذا أيضًا يتعلق بالأزواج، إلا بذنب يُحدثه أحد الزوجين أو كلاهما، إذًا للمعاصي أثرٌ بالغ في هذا، نقول: بناءً على ما تقدم من حَفِظَ ما بينه وبين الله حَفِظَ الله له ما بينه وبين زوجه وأهله وولده.

---

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد

الأساس الخامس: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى﴾[المائدة:٢] التعاون بين الزوجين، أعني بذلك: إعانة كلٌ من الزوجين ، على أي شيء؟ قال عز وجل: ﴿عَلَى الْبرِّ﴾، تعاونوا على البر، البر الذي هو القيام بما بكل ما يحبه الله ويرضى، من أي شيء؟ من الأعمال الظاهرة والباطنة، من حقوق الله ومن حقوق الآدميين.

قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ أي: التعاون على القيام بكل ما يخص الأسرة أساسٌ عظيمٌ لسلامتها، التعاون على عبادة الله، التعاون على تربية الأولاد، التعاون على التناصح فيما بينهما، تأمل وقِفْ عند قول النبي صلى الله عليه وسلم: « قَلْبٌ شَاكِرٌ وَلِسَانٌ ذَاكِرٌ وزَوْجَةٌ صَالِحَةٌ » لماذا؟ « تُعِيْنُكَ عَلَى أَمْرِ دُنْيَاكَ وَدِيْنِكَ خَيْرِ مَا اكْتَنَزَ النَّاس »[(١)] إذًا القضية فيها تعاون، بالتعاون على الطاعة والبر يظفر الزوجان بدعوة النبي صلى الله عليه وآله وسلم في قوله: « رَحِمَ اللهُ رَجُلًا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّى وَأَيْقَظَ امْرَأَتَهُ فَصَلَّتْ، فَإِنْ أَبَتْ رَشَّ فِي وَجْهِهَا الْمَاءَ، رَحِمَ اللهُ امْرَأَةً قَامَتْ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّتْ وَأَيْقَظَتْ زَوْجَهَا فَصَلَّى، فَإِنْ أَبَى رَشَّتْ فِي وَجْهِهِ الْمَاءَ »[(٢)].

---

(١) أخرجه الطبراني

(٢) أخرجه أبو داود

بالتعاون مع الزوج أو مع الزوجة يقتدي بمن؟

يقتدي بالنبي عليه الصلاة والسلام، بل جاء في الحديث أنه كان يكون في خدمة أهله أو في مهنة أهله، فإذا حضرت الصلاة خرج إلى الصلاة عليه الصلاة والسلام.

الأساس السادس: **الدعاء**، وما أدراكم ما الدعاء، خير الأمور وأكرمها عند الله عز وجل، كم فوّت حقيقةً المتزوجون على أنفسهم من خيرٍ بسبب إهمالهم للدعاء، كم ضيّعوا من خيراتٍ بغفلتهم عن الدعاء، كم تراكمت من مشاكل لم تُرفع إلا بالدعاء.

إذًا أيها الأزواج والزوجات حب الزوجين لبعضهما، وتآلفهما فيما بينهم هو بالحقيقة رزق من الله عز وجل، نعم، رزقٌ من الله تبارك وتعالى، ألم يقل صلى الله عليه وسلم عن خديجة: «**إِنِّي رُزِقْتُ حُبَّهَا**»[1] إذًا الحب ماذا؟ رزق من الباري تبارك وتعالى، إلقاء السكن في النفس، جعل المودة والرحمة في القلب، أليس هو بيد الله؟ ألم يقل جل وعلا: ﴿**وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً**﴾[الروم:٢١] الجواب: بلى، لاحظوا ماذا قال؟ ﴿**جَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً**﴾ من الجاعل: الله عز وجل، إذا

---

(١) أخرجه مسلم

كان الجاعل هو الله وهذه أمور كلها بيد الله ومن عنده، إذًا كيف نغفل عن الدعاء.

وإن تعجب فاعجبوا أن جُعل الدعاء للأهل والزوجة من جملة أذكار الصباح والمساء، قال ابن عمر رضي الله تعالى عنهما، تنبهوا إلى الحديث، يقول ابن عمر: " اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي دِينِي وَدُنْيَايَ وَأَهْلِي وَمَالِي " لاحظوا الآن " وَأَهْلِي وَمَالِي، اللهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَاتِي، وَآمِنْ رَوْعَاتِي، اللهُمَّ احْفَظْنِي مِنْ بَيْنِ يَدَيَّ، وَمِنْ خَلْفِي، وَعَنْ يَمِينِي، وَعَنْ شِمَالِي، وَمِنْ فَوْقِي، وَأَعُوذُ بِعَظَمَتِكَ أَنْ أُغْتَالَ مِنْ تَحْتِي "[1]، تأمل سؤاله الله العفو والعافية، لمن؟ للأهل، ما هي العافية؟ السلامة، وعنوان المحاضرة: بناء أسرةٌ سليمة، إذًا صحّ أن يكون الدعاء من أسس بناء الأسرة وسلامتها.

الأساس السابع: قال جل وعلا: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾[النساء:١٩] قاعدة عامة، كلمة جامعة، تضمن السلامة للأسرة، والمعاشرة بالمعروف: هي المخالطة بالحسنى، هذه المعاشرة تشمل: القول الحسن، تشمل المعاملة الراقية، تشمل الألفاظ الطيبة، تشمل الصحبة الجميلة، فكل قولٍ حسن واجبًا كان أو

(١) أخرجه أبو داود

غير واجب فإنه يدخل في المعاشرة بالمعروف، في قوله تعالى: ﴿وَلَهُنَّ﴾ يعني للزوجات ﴿مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾[البقرة:٢٢٨] إذًا كله يكون بالمعروف.

من المعاشرة بالمعروف: الرفق في استعمال الأمور والقيام بها، فهذا من أبرز علامات الخير، قال صلى الله عليه وسلم لزوجته عائشة: « يَا عَائِشَةُ، ارْفُقِي، فَإِنَّ اللهَ إِذَا أَرَادَ بِأَهْلِ بَيْتٍ خَيْرًا، دَلَّهُمْ عَلَى بَابِ الرِّفْقِ »(١).

هناك أحاديث عديدة أرشد بها النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى المعاشرة بالمعروف، فعن حصين بن محصن رضي الله عنه عن أمةٍ له يُقال لها أسماء، دخلت على النبي صلى الله عليه وآله وسلم لبعض الحاجات، فقضى حاجتها عليه الصلاة والسلام، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: « أَذَاتُ زَوْجٍ أَنْتِ؟ » يعني أنتِ متزوجة؟ قالت: نعم، قال: « كَيْفَ أَنْتِ لَهُ؟ » يعني كيف صحبتك لزوجك؟ كيف تعاملك معه؟ قالت: " مَا آلُوهُ " يعني ما أقصّر فيه أبدًا، " مَا آلُوهُ إِلَّا مَا عَجَزْتُ عَنْهُ "، لاحظوا " إِلَّا مَا عَجَزْتُ عَنْهُ " يعني الشيء الذي لا أستطيع القيام به هذا، قال عليه الصلاة والسلام: « فَانْظُرِي أَيْنَ

(١) أخرجه أحمد

أَنْتِ مِنْهُ، فَإِنَّمَا هُوَ جَنَّتُكِ وَنَارُكِ »[١] إذًا الزوج قد يكون جنة وقد يكون نار والعياذ بالله.

عند الإمام أحمد وغيره من حديث أبي هريرة، قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم: "**أي النساء خير؟**" من أرادت أن تكون لها الخيرية فلتسمع إلى فتوى النبي صلى الله عليه وسلم: "**أي النساء خير؟**" قال: «الَّذِي تَسُرُّهُ إِذَا نَظَرَ» وهذا فيه الفائدة من الاهتمام بالمظهر والشكل والرائحة إلى آخره، «وَتُطِيعُهُ إِذَا أَمَرَ، وَلَا تُخَالِفُهُ فِي نَفْسِهَا وَمَالِهَا بِمَا يَكْرَه» وقال: « خَيْرُ نِسَائِكُمُ الْوَدُودُ » من الود، تودّك وتحبك، « الْوَدُودُ الْوَلُودُ الْمُوَاتِيَةُ » ماذا يعني المواتية؟ يعني ليس بفظة، وليست بغليظة، لا تتعالى على زوجها، بل تستجيب وتطيع، « الْمُوَاتِيَةُ الْمُوَاسِيَةُ » أي التي تقف إلى جانب زوجها وتخفف عنه وتعينه على الخير، هذه الصفات أيتها الأخوات تأملنا القيد الذي فيها، قال: « خَيْرُ نِسَائِكُمُ الْوَدُودُ الْوَلُودُ الْمُوَاتِيَةُ الْمُوَاسِيَةُ، إِذَا اتَّقَيْنَ اللهَ »[٢] ماذا يعني: « إِذَا اتَّقَيْنَ اللهَ »؟ يعني كان الدافع لها للقيام بهذه الأعمال هو طلب رضا الله وتقواه سبحانه وتعالى.

---

(١) أخرجه أحمد

(٢) أخرجه البيهقي.

أما الزوج فقد قال صلى الله عليه وسلم في شأنه: « خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي » تأملوا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: « خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي »[١] وقال: «أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا، أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا، وَخَيْرُكُمْ» أيها الرجال «خَيْرُكُمْ لِنِسَائِهِمْ» الله أكبر.

لك أن تسأل ولكِ أن تسأليِ، كيف كان صلى الله عليه وسلم يعامل أهله، ما هي الأمور التي كان يتعاطاها في التعامل مع أهله، كيف يصبح الإنسان من جملة الأخيار الذين نعتهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم في هذا الحديث؟

نقف لحظة في بيت النبوة، كيف كان هدي النبي صلى الله عليه وسلم مع زوجاته، مع أنه الحاكم، مع أنه المفتي، مع أنه القاضي، مع أنه إمام المسجد، مع أنه المعلم عليه الصلاة والسلام، مع أنه قائد الجيش صلى الله عليه وآله وسلم، إلى غير ذلك من الأعمال التي نصف العشر ليست موجودة على عاتق أحدنا، مع ذلك كان صلى الله عليه وسلم يُحسن إلى أهله غاية الحسن بالحقيقة، يتعجب الإنسان من هذا النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم، جمعت لكم مجموعة من الأحاديث، وسأحاول أن أعرضها عليكم أو شيءٍ منها، وأرجو أن نعيش لحظات طيبة مع هذه النصوص.

---

(١) أخرجه ابن ماجه

تقول عائشة رضي الله عنها تأملوا: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب العسل والحلواء، وكان إذا انصرف من العصر" يعني إذا انتهى من صلاة العصر "دخل على نسائه" يمر على نسائه، "فيدنو من إحداهن" عليه الصلاة والسلام، لاحظوا صلّى العصر وأخذ يمر على نسائه عليه الصلاة والسلام، "فيدنو من إحداهن" يعني كما قال أهل العلم يباشرها ويقبلها ويضمها صلى الله عليه وآله وسلم.

كان صلى الله عليه وآله وسلم يستعمل أمورًا ربما البعض الآن يترفّع عنها، ويجعلها من جملة الأمور القبيحة في نظره، وقد فعلها من هو أشد حياءً من العذراء في خدرها، تقول عائشة رضي الله عنها: "كنت أغتسل أنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم من إناءٍ واحد، يبادرني وأبادره حتى يقول: دعي وأقول أنا: دعي" ماذا يحصل؟ مباراة على الاغتسال بالماء، أين هذا ممن يترفع عن هذا العمل، حتى قيل لبعضهم: افعل مثل هذا العمل، قال: عيب، سبحان الله!، يكون عيبًا وفعله النبي صلى الله عليه وسلم؟

تقول عائشة رضي الله عنها، وتأملوا الخطاب اللطيف منه صلى الله عليه وسلم في الخطاب، يقول: «يَا عَائِشِ هَذَا جِبْرِيلُ يُقْرِئُكِ السَّلاَمَ» يا عائش، هي اسمها عائشة، لكن يُصغّر اسمها ويقول لها: يا عائش، في الحديث الآخر يقول

لها: «يَا حُمَيْرَاء» يعني يا بيضاء، كانت بيضاء رضي الله تعالى عنها وأرضاها، فيقول يعني يلاطفها، يقول لها: «يَا حُمَيْرَاء» عليه الصلاة والسلام.

تأملوا هذه الحالة العجيبة، يقول أنس: "إن جارًا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فارسيًا كان طيب المرق" ماذا يعني "طيب المرق"؟ أي: يُحسن صناعة المرق، ويجيدها، "فصنع لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم جاء يدعوه" صنع لرسول الله صلى الله عليه وسلم مرق ثم جاء يدعوه، فقال عليه الصلاة والسلام وكانت عائشة بالقرب منه، قال: «وهَذِه؟» يعني أنت تدعوني الآن وزوجتي معي، «وهَذِه»، فقال الجار الفارسي: "لا" فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا» فعاد الرجل يدعو النبي عليه الصلاة والسلام، فقال صلى الله عليه وسلم: «وهَذِه» يعني عائشة كذلك؟ قال: "لا"، الرجل قال للنبي صلى الله عليه وسلم: لا، ثم عاد يدعوه الثالثة فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «وهَذِه» قال الرجل: نعم، فقاما –أي النبي عليه الصلاة والسلام وعائشة– يتدافعان حتى أتيا منزله، ذكر أهل العلم أن هذه الحادثة كان النبي صلى الله عليه وسلم وعائشة في جوعٍ شديد، فلذلك لم يرضَ صلى الله عليه وسلم أن يمتلأ بطنه ويشبع ويترك زوجته عليه الصلاة والسلام جائعة.

تأملوا في التعامل، تقول رضي الله عنها: "ما ضرب رسول الله صلى الله

عليه وسلم بيده شيئًا قط إلا أن يجاهد في سبيل الله، ولا ضرب خادمًا ولا امرأة" لم يُعرف عنه صلى الله عليه وسلم أنه ضرب إحدى زوجاته، أين هذا ممن إذا انفعل أخذ الكأس ورماه على زوجته، حتى أنها تبقى في العناية المركزة مدة شهر والعياذ بالله، أين هذا من اقتدائه بالنبي عليه الصلاة والسلام؟

أيضًا تقول عائشة رضي الله تعالى عنها وأرضاها وهذا أيضًا من جملة ملاطفته لزوجته، يقول لها النبي عليه الصلاة والسلام: « إِنِّي لَأَعْرِفُ غَضَبَكِ وَرِضَاكِ » أنا أعرف فترة غضبك عليّ وفترة رضاكِ عني، قَالَتْ: قُلْتُ: وَكَيْفَ تَعْرِفُ ذَاكَ يَا رَسُولَ اللهِّ؟ قال: « إِنَّكِ إِذَا كُنْتِ رَاضِيَةً قُلْتِ: بَلَى وَرَبِّ مُحَمَّدٍ » يعني تحلفين تقولين ماذا؟ لا ورب محمد، « وَإِذَا كُنْتِ سَاخِطَةً قُلْتِ: لاَ وَرَبِّ إِبْرَاهِيمَ »[1] هذا دليل على أنك ماذا؟ راضية أو غضبى، قالت عائشة: " أَجَلْ، لَسْتُ أُهَاجِرُ إِلَّا اسْمَكَ " يعني معزتك وإجلالك وحبك في قلبي باقي.

أيضًا مما جاء عنه عليه الصلاة والسلام في حسن معاشرته لأهله ما جاء من استفتاء عائشة، يقول أحد التابعين: "قلت لعائشة: أخبريني بأي شيءٍ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبدأ إذا دخل عليكِ؟" يعني إذا دخل البيت بأي شيء يبدأ؟ قالت: "كان إذا دخل يبدأ بالسواك: لماذا يا إخوة؟ تطيبًا لرائحته

---

(١) متفق عليه

عليه الصلاة والسلام، وكم من حالات طلاق وتفكك أسر حصلت بسبب الرائحة فقط.

هناك حادثة: إحدى الأخوات اتصلت بأحد الاستشاريين الأسريين بعد أسبوعين من الزواج، وتقول: أنا لا أستطيع العيش مع زوجي، لم تصرّح، وإنما الرجل بخبرته وحسن سياسته وصل إلى السبب، وهي أن زوجها له رائحة كريهة، لا تستطيع أن تقترب منه، وحاولت معه بطرق غير مباشرة أن يتعالج لكنه لم يتعالج، لا شك أن هذا أمر مؤذي، فما الذي حصل؟ قال لها هذا الاستشاري: أعطني رقم زوجك وسأتواصل معه، تواصل معه وكلّمه في الموضوع، وقال: نعم، هي مصرّة في هذه الفترة على الطلاق، ما السبب؟ قال: والله ما أدري ما السبب إلا أنها مصرّة على ذلك، حاول الاستشاري أن يعطيه بطرق غير مباشرة، هل حصل أنها نصحتك في أمرٍ ما، أنها وجّهتك، أنها اشترت لك شيء.

وفعلًا الزوجة جزاها الله خير بطرق غير مباشرة اشترت له فرشاة طيبة وقالت: أريدك أن تستعملها كل يوم، هذه حكمة وفيها ذكاء، طريقة طيبة، بعدها دخل هذا الاستشاري على الزوج من هذا الباب، وعلى أنه ينبغي عليه أن يعتني برائحته، فقال للزوج: ما أعطتك هدية، ما شاورتك في شيء، ما دلّتك

على علاج؟ إلى آخره، قال: والله تذكرت، أعطتني هدية فرشاة أسنان، و هو لم يستعملها أصلًا، أخذها كهدية ووضعها، فقال له: لعل الخلل من هذا الجانب، لماذا لا تحاول أن تتعالج؟ وفعلًا توجه الرجل إلى العلاج، بعدها بأسبوعين اتصلت المرأة تشكر هذا المستشار على رعايته وأن المشكلة قد انتهت، لاحظوا أسبوعين وكادت تحصل حالة طلاق بسبب هذه الرائحة، ولذلك كثير من الزوجات يتضايقن من الزوج بسبب هذا.

الشاهد أن هدي النبي عليه الصلاة والسلام أنه يبدأ بالسواك لأجل أي شيء؟ لأجل مراعاة أهله، حتى لا يُشم منه رائحة كريهة، وكان عليه الصلاة والسلام أشد ما عليه أن يُشم منه الريح أي: الرائحة الكريهة، لذلك كان يتطيب عليه الصلاة والسلام ويعتني بنفسه صلى الله عليه وسلم، ويعنّف من لا يهتم بمظهره، فقد رأى رجل وهو يقول: أما يجد هذا ما يسكن به شعره؟ عليه الصلاة والسلام.

نرجع إلى شيءٍ من هدي النبي عليه الصلاة والسلام في تعامله مع أهله، خذ جانب الترفيه وجانب المداعبة، تقول عائشة: "إنها كانت مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر، قالت: فسابقته، فسبقني على رجلي، فلما حملت اللحم" يعني كبرت وأصبح شيء من البدانة في الجسم "سابقته فسبقني فقال: «هَذِهِ

بِتِلْكَ السَّبْقَة»" لطافة وحسن معاملة، لم يمنعه منصبه عليه الصلاة والسلام من أن يسابق أهله، أحيانًا بعض النساء تطلب من زوجها الخروج، حقيقةً لا لذات الخروج، لماذا؟ لترى منزلتها عند زوجها، تقول له: لو نذهب لمكان بعيد نلعب، لترى قدرها عند زوجها، لكن للأسف أن بعض الأزواج ليس عنده حكمة في هذا.

تقول رضي الله عنها وأرضاها: "كان صلى الله عليه وسلم إذا صلّى سنة الفجر فإن كنت مستيقظة حدّثني، وإلا اضطجع حتى يؤذن بالصلاة"، هذا الجانب من الحديث، كثير من النساء تشتكي من عدم محادثة زوجها لها، تقول: يعني أمامي كالجدار تمامًا، حتى بعض النساء ماذا تقول؟ تقول: إذا قام زوجي لا يتحدث معي أذهب أمام المرآة وأتحدث، تتحدث مع نفسها، تقول: ما أجد أحد، الشاهد أن هذا الأمر الآن من أين نبع؟ من عدم الإصغاء للزوجة وعدم الإنصات لها.

المرأة بطبيعتها تريد أن تتكلم، لكن لا بد أن تجد المكان الذي يستقبل هذه المحادثة، إذًا لا بد أن يكون الزوج على وعي، وأن ينصت لها، ما الإشكال في ذلك؟ النبي عليه الصلاة والسلام في حديث أم زرع ذكر العلماء من جملة الفوائد منها: عناية النبي صلى الله عليه وسلم بالإنصات إلى عائشة، كيف أنها

كانت تتكلم وهو في غاية الإنصات لها صلى الله عليه وآله وسلم.

نرجع إلى حديث أنس رضي الله تعالى عنه فإنه حديث عظيم، يدلكم على قمة رفق النبي عليه الصلاة والسلام وحسن علاجه للمشكلة، وأنه في الحالات التي تنفعل فيها الزوجة من أحسن ما يكون من طيب المعاملة، يقول أنس: "كان النبي صلى الله عليه وسلم عند بعض نسائه، فأرسلت إحدى أمهات المؤمنين بصحفةٍ فيها طعام، فضربت التي في بيتها النبي صلى الله عليه وسلم يد الخادم" يعني الآن النبي صلى الله عليه وسلم في بيت إحدى زوجاته، جاءت هذه الزوجة الأخرى وأرسلت الطعام إلى بين هذه الزوجة، ماذا فعلت هذه التي هي الآن هو بيتها، أخذت الصّحْفَة من يد الخادم وكسرتها، قال: "فسقطت الصحفة فانفلقت" ماذا فعل؟

تأملوا هذا الموقف: زوجة أخرى ترسل طعام لزوجها في بيت أخرى، فتلجأ الزوجة إلى كسر هذه الصحفة وتنفعل الزوجة، فلو كان الواحد منّا ماذا يصير؟ لا شك أن التعامل سيكون مغايرًا تمامًا.

جمع النبي صلى الله عليه وسلم الصحفة، و قام بجمعها صلى الله عليه وسلم، ثم جعل يجمع الطعام الذي في الصحفة، ويقول: «غَارَتْ أُمّكُمْ، غَارَتْ أُمّكُمْ» يعني الباعث لها على هذا ما هو؟ الغيرة التي وقعت في قلبها، هذا

الباعث لها على هذا العمل.

لاحظوا ما عنّفها، ولا انفعل، ولا ردّ عليها صلى الله عليه وسلم، لماذا؟ لأنها في حالةٍ لا يمكن أن تتجاوب معه، الغيرة قد غطت على عقلها، ثم حبس عليه الصلاة والسلام الخادم حتى أتى بصحفةٍ من عند التي هو في بيتها، فدفع الصفحة الصحيحة إلى التي دُفعت صحفتها، يعني المسألة مسألة ضمان، أنتِ غرتي الآن وكسرتي، لكن لا بد من ضمان يبقى في الذمة.

تأمل هذا التعامل الآخر أيضًا، تقول عائشة رضي الله عنها: "كنت أشرب الماء وأنا حائض، ثم أناوله النبي صلى الله عليه وسلم فيضع فاه على موضع فيّ فيشرب صلى الله عليه وسلم" تأملوا قمة المراعاة للمشاعر والنفسيات، فهذا يدل على كمال المعاشرة بالمعروف التي تقـــدم بيـــانها، تقول: "كان النبي عليه الصلاة والسلام يقرأ القرآن ورأسه في حجري وأنا حائض" يعني ينام على فخذها وفي حجرها عليه الصلاة والسلام ويقرأ القرآن صلى الله عليه وآله وسلم.

تأملوا هذه المعاملة الراقية، وهذه الصحبة الطيبة الجميلة مع ما عليه صلى الله عليه وسلم، هذه نماذج فقط، فاقتدِ به صلى الله عليه وسلم، تأمل الواقع الذي أنت فيه، ما الذي يناسب الزوجة في مثل هذه الحالة، ما الذي يناسب

الزوج في مثل هذه الواقعة، وهكذا يعيش الإنسان في تام السعادة.

فالواجب علينا: إشاعة هذه الأخلاق النبوية:

تعريف الناس بها

نشرها في أوساط الأهالي

والعمل على التخلّق بها

وتطبيقها وإنزالها في الواقع

هذا الذي الحقيقة يوصلنا إلى ما نريد. إحدى النساء أيضًا اتصلت بأحد الإخوة، حقيقة أنا أتكلم عن جانب التوعية، يعني جانب تعامل النبي صلى الله عليه وسلم مع أهله، هذا الأمر غائب للأسف، وإذا وُجد لا يسعى إلى تطبيقه، هذه مشكلة.

اتصلت امرأة على المستشار الأسري وكانت عازمة على الطلاق وفراق الزوج، ما الذي حصل؟ قام هذا الاستشاري جزاه الله خيرًا ويسرد لها هدي النبي عليه الصلاة والسلام وحثّه على خدمة الزوج والعناية به وفضله وخير نسائكم كذا كذا وكذا إلى آخره، عندما سُئل عن خير النساء قال: « الَّذِي تَسُرُّهُ إِذَا نَظَرَ وَتُطِيعُهُ إِذَا أَمَرَ، وَلَا تُخَالِفُهُ فِي نَفْسِهَا وَمَالِهَا بِمَا يَكْرَه »، الشاهد عندما ذكر لها جملة عديدة، من ضمنها: « إِذَا صَلَّتِ الْمَرْأَةُ خَمْسَهَا، وَصَامَتْ شَهْرَهَا،

وَحَفِظَتْ فَرْجَهَا، وَأَطَاعَتْ زَوْجَهَا قِيلَ لَهَا: ادْخُلِي الْجَنَّةَ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ شِئْتِ »[١] قالت: يا شيخ والله كلنا نريد الجنة لكن هذه الأحاديث ما أحد ذكرها لنا، لاحظوا، كيف أثر الأحاديث يظهر على الإنسان، وأثره في هذا الباب.

إذًا أعيد وأكرر لا بد من نشر هذا الوعي، ما هو هدي النبي صلى الله عليه وسلم في التعامل مع أهله، مع زوجته، في كافة الجوانب، في جلوسه مع أهله، في معاشرته لهن، في حديثه معهن، في لعبه صلى الله عليه وسلم معهن، في مخاطبته صلى الله عليه وسلم معهن، إلى غير ذلك من الأمور، إذا نُشر هذا حق النشر وأُرشد إليه الناس وطُبق حق التطبيق جاءت السلامة للأسر بإذن الله تبارك وتعالى.

أسأل الله تبارك وتعالى أن ينفعني وإياكم بما نقول وبما نسمع، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

****

(١) أخرجه أحمد

حقوق الطبع محفوظة

شبكة بينونة للعلوم الشرعية